

الروايات التفسيرية للإسراء والمعراج في دائرة المعارف الإسلامية -دراسة تحليلية-

The interpretive narratives of Isra and Mi'raj in The Encyclopaedia of Islam

بومليحة حياة¹

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

Athine_18@hotmail.fr

د.رضوان لخشين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

redlek21@gmail.com

تاريخ الوصول 2022/07/20 القبول 2022/10/20 النشر على الخط 2022/11/05

Received 20/07/2022 Accepted 20/10/2022 Published online 05/11/2022

ملخص:

يتناول هذا المقال الروايات التفسيرية للإسراء والمعراج والواردة في دائرة المعارف الإسلامية، تلك الدائرة التي تعتبر أضخم عمل موسوعي قام به المستشرقون وجمعوا فيه كل ما هو خاص بالتراث الإسلامي وعلومه الدينية والدنيوية. وقد وردت ثلاث روايات في الإسراء والمعراج حسب دائرة المعارف الإسلامية، أما تركيز المستشرقين في الدائرة فتناول الإسراء بشكل رئيسي دون المعراج، باعتبار البعد المكاني للإسراء إلى البيت المقدس ورمزية المسجد الأقصى، واعتبار البعد الإعجازي لقطع تلك المسافة الكبيرة بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى في وقت قصير جداً يستحيل وقوع ذلك فيه حسب قياسات البشر إلا أن يكون -حسب رأي المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية- مناما (رؤيا) قد رآه النبي صلى الله عليه وسلم، واعتمادهم في تفسير الإسراء والمعراج بعض الروايات الواردة دون غيرها في نظرة انتقائية تدعم أفكارهم المشككة في صحة ما ورد حول الإسراء والمعراج.

الكلمات المفتاحية: الروايات التفسيرية - الإسراء والمعراج - المستشرقون - دائرة المعارف الإسلامية.

Abstract:

This article deals with the interpretive narratives of Isra and Mi'raj in The Encyclopaedia of Islam. This Encyclopaedia is considered the largest work by orientalists who gathered everything related to Islamic heritage. According to it, three interpretations were mentioned in Isra and Mi'raj. The focus of orientalists in The Encyclopaedia mainly dealt with Israa, in view of the spatial symbolism of the Israa to "Al - Masjid Al-Aqsa", plus considering the miraculous remoteness of crossing that great distance between the Masjid al-haram and Al - Aqsa in a short time. For Orientalists, this is impossible to happen, especially according to human measurements, except that if it is a dream. Actually, their dependence ,in their interpretation, on some of the received narratives and not others in a selective view really supports their skeptical ideas about the accuracy of what was stated about Isra and Mi'raj.

Keywords: Explanatory interpretations, Isra and Al-Mi'raj, Orientalists, The Encyclopaedia of Islam.

¹ المؤلف المراسل: بومليحة حياة البريد الإلكتروني: Athine_18@hotmail.fr

مقدمة:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ [الكهف: 01]، والصلاة والسلام على من لا نبي محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه، أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو كتاب رب العالمين لا يأتيه الباطل ولا يدخله التحريف، أنزله الله على خاتم النبيين، معجزة خالدة لا تطويها الأيام ولا يُغيّرهما تعاقب الأزمان.

ثم إن الله أعزّ نبيه بالمعجزات المؤيّدات صدق نبوته، والمسليّات له عليه الصلاة والسلام في الأزمان، فكانت مددا من رب لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، هذه المعجزات وإن كانت فتنة للمشركين زمن النبوة تزيدهم ضلالا إلى ضلالهم: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: 125]، فهي إلى زمننا هذا لا تزال فتنة للمنكرين والمشككين في صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم يتعللون بها ويتخذونها سلما لحمل أفكارهم الطاعنة في القرآن الكريم، ومن هذه المعجزات الإسراء والمعراج تلك الرحلة الليلية النبوية من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، ومنه إلى السماء.

الإسراء والمعراج أيضا من المواد العلمية التي تناولتها دائرة المعارف الإسلامية بالدراسة، تلك الدائرة التي تُعدّ موسوعة ضخمة للمستشرقين جمع فيها الباحثون الغربيون كل ما يتعلق بالعالم الإسلامي.

أما هذا البحث فيتطرق بالدراسة إلى الرؤية الاستشراقية للإسراء والمعراج من خلال دائرة المعارف الإسلامية، مُنطلقا من تساؤل رئيسي عن ماهية الروايات التفسيرية للإسراء والمعراج في الدائرة؟.

وأما أهمية البحث في هذا الموضوع فنكمن في القيمة العلمية الكبيرة لدائرة المعارف الإسلامية باعتبارها ثمرة جهد مجموعة من العلماء الغربيين، حملت أفكارهم ونظرتهم للتراث الإسلامي وآراءهم عن كل ما له علاقة بالنبوة والقرآن كالإسراء والمعراج.

المبحث الأول: التعريف بأهم حدود البحث

المطلب الأول: تعريف الاستشراق:

الاستشراق هو: «علم الشرق أو علم العالم الشرقي»¹، وهو كذلك: "ذلك العلم الذي تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب"².

أو هو: "ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته، من أجل الإسهام في صياغة تصورات الغرب عن العالم الإسلامي"³.
والمستشرق هو: "عالم متمكن من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه"⁴.

المطلب الثاني: تعريف دائرة المعارف الإسلامية أمّا دائرة المعارف الإسلامية «The Encyclopaedia of Islam»

فهي موسوعة علمية ضخمة وضعها المستشرقون وجمعوا فيها كل ما يتعلق بالعالم الإسلامي وحضارته وتاريخه والإسلام والقرآن:

¹ الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق، دار المعارف، القاهرة، 1997 م، 18.

² نقد الخطاب الاستشراقي، ساسي سالم الحاج، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002 م، 20/1.

³ معلم الثقافة الإسلامية، أمين أبو لاي، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط1، 1998 م، 263.

⁴ أسماء المستشرقين، يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004 م، 6.

يقول شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي في تقديمه للترجمة العربية لدائرة المعارف الإسلامية: " دائرة المعارف الإسلامية التي تناولت جوانب متعددة عن الحضارة الإسلامية في شتى أدوار تاريخها ... لقد اشتملت دائرة المعارف الإسلامية على معلومات وافية عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام - وعن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وعن الزعماء والمصلحين الذين سَخَّروا علمهم وقوتهم لخدمة أمتهم ولخدمة الحق والفضائل، كما اشتملت على ألوان كثيرة من العلوم الطبية والهندسية والزراعية والصناعية والفلسفية والدينية والقانونية والفنية والتاريخية والجغرافية، وعلى غير ذلك من معارف يصعب حصرها"¹.

ويقول سمير سرحان² في مقدمة الطبعة التي أشرف على إخراجها مركز الشارقة: "فهذه الموسوعة هي نتاج عمل صفوة علماء الشرق والغرب المهتمين بالدراسات الإسلامية والذين عكفوا على دراسة الحضارة العربية الإسلامية وعناصرها المختلفة التي استمدت جذورها من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة"³.

فهي ذخيرة حقيقية للمعارف الإسلامية تحتوي على أكثر من تسع آلاف مادة مرتبة ترتيباً أبجدياً، تتراوح في الطول ما بين خمسين الى خمسين ألف كلمة للمادة الواحدة حسب أهميتها في سياق الحضارة الإسلامية! وتمثل هذه المواد في مجموعها تغطية شاملة لكل جوانب الحضارة الإسلامية بدءاً من أصول الدين الخفيف، ومروراً بالأدب الإسلامي وتراجم حياة الشخصيات الإسلامية الكبرى، وقد كتبها أشهر المستشرقين في القرن العشرين.⁴

ويقول إبراهيم عوض: "أصدر المستشرقون منذ بضع عشرات من الأعوام، بالإنجليزية والفرنسية والألمانية، موسوعة كاملة عن الإسلام دينا وتاريخاً وحضارة وآداباً وعلومًا واقتصاداً وسياسة وأعلاماً. تُسمى في العربية بـ «دائرة المعارف الإسلامية»"⁵.

المطلب الثالث: تعريف الإسرائء والمعراج

أولاً: لغة

الإسرائء لغة: السُرَى: سير الليل، وكلُّ شيءٍ طرق ليلاً فهو سارٍ... وسرى وأسرى، لغتان، وقُرئ: ﴿سَرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾، وسَرَى به وأسرى به سواء.⁶ "وقال أبو إسحاق في قوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسرائء: 1] قال: معناه: سَرَّ عبده، يُقال: أسريت وسريت: إذا سرت ليلاً"⁷.

المعراج لغة: "عَرَجَ في الدَرَجَةِ والسَّلَمِ يَعْرُجُ عُرُوجاً، إذا ارتقى ... والمعراج: السَّلَم، ومنه ليلة المعراج"⁸.

ثانياً الإسرائء والمعراج اصطلاحاً:

¹ موجز دائرة المعارف الإسلامية، مجموعة من المستشرقين، ترجمة: نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1418هـ - 1998م، 1/ ج.

² رئيس هيئة الكتاب والمشرق العام على دائرة المعارف الإسلامية المترجمة باللغة العربية.

³ موجز دائرة المعارف الإسلامية، 1/ و.

⁴ ينظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، 1/ ك.

⁵ دائرة المعارف الإسلامية الاستشرافية أضاليل وأباطيل، مكتبة البلد الأمين، مصر، ط1، 1419هـ - 1998م، 5.

⁶ كتاب العين، الخليل الفراهيدي، ت/ مهدي المخزومي - إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بغداد، 1985م، 7/ 291.

⁷ تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، ت/ محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، 13/ 38.

⁸ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري، ت/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ - 1987م، 1/ 328.

الإسراء والمعراج هو تلك الرحلة الليلية للنبي صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، ثم إلى السماوات وانتهاء بسدرة المنتهى، وركب النبي صلى الله عليه وسلم البراق - وهو دابة بيضاء - في رحلته إلى بيت المقدس، وفي ليلة الإسراء والمعراج فُرضت الصلوات الخمس، يقول الله عز وجل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1]:

"وأُسري برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة، بجسده، إلى بيت المقدس... وعرج به جبريل صلوات الله تعالى وسلامه عليهما إلى السماوات، فمشى في السماوات سماء سماء، ولقي من لقي فيهن من الأنبياء... ورأى الجنة وهي جنة المأوى، وسدرة المنتهى في السماء السادسة، وفي تلك الليلة فرضت الصلوات الخمس".¹

"ولا خلاف بين أئمة المسلمين وعلماء الدين في صحة الإسراء² به صلى الله عليه وسلم، إذ هو نص القرآن العظيم. ورواه جماعة من الصحابة، كما أخرجه الحفاظ في أصول الإسلام المشهورة، ولكن أكملها ترتيباً ووضعاً ما رواه مسلم في «صحيحه» من حديث ثابت البناني"³:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه»، قال: «فركبته حتى أتيت بيت المقدس»، قال: «فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء»، قال " ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل صلى الله عليه وسلم: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكرياء، صلوات الله عليهما، فرحبا ودعوا لي بخير، ثم عرج بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد صلى الله عليه وسلم، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم، إذا هو قد اعطي شطر الحسن، فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قال: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإدريس، فرحب ودعا لي بخير، قال الله عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 57]، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ فقال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بهارون صلى الله عليه وسلم، فرحب، ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد

¹ جوامع السيرة النبوية، علي بن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ - 2003م، 44.

² ويقصد بالإسراء: الإسراء والمعراج جميعاً ويدل ذلك الحديث الذي نقله عن مسلم وفيه عن الإسراء والمعراج، وسيأتي فيما بعد في مسائل المبحث الثاني من هذا المقال أنه قد يُسمى المعراج ويُراد به الإسراء والمعراج لوقوعهما معا في ليلة واحدة.

³ حقائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، محمد بن عمر بن مبارك الحميري، ت/ محمد غسان نصوح عزقول، دار المنهاج، جدة، ط1، 1419 هـ، 217.

بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بموسى صلى الله عليه وسلم، فرحب ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد صلى الله عليه وسلم، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال: " فلما غشيتها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسننها، فأوحى الله إلي ما أوحى، ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى صلى الله عليه وسلم، فقال: ما فرض ربك علي أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم "، قال: " فرجعت إلى ربي، فقلت: يا رب، خفف علي أمتي، فحط عني خمسا، فرجعت إلى موسى، فقلت: حط عني خمسا، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف "، قال: " فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى، وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة "، قال: " فنزلت حتى انتهيت إلى موسى صلى الله عليه وسلم، فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف "، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه "»¹.

المبحث الثاني: الروايات التفسيرية للإسراء والمعراج في دائرة المعارف الإسلامية

المطلب الأول: الرواية الأولى (التفسير القديم)

"تذهب أقدم هذه الروايات، وقد اختفت من التفاسير الحديثة، إلى أنّ هذه الآية تشير إلى صعود محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء: وأهم ما في هذه الروايات ... هو أنها احتفظت أيضا بالمعنى البدائي لقصة الصعود التي صورت على أنها بداية لتعاليم النبوة التعبدية ... وهذا القول يفسر عبارة "المسجد الأقصى" بالسماء، وفي الحق إن الرواية القديمة تستعمل في كثير من الأحيان كلمة "إسراء" مرادفة لكلمة "معراج"².

[B. Schrieke مادة إسراء: شريك]

"ويُفسر المسجد الأقصى بأنه "أقصى مكان للعبادة" أي السماء، والإسراء طبقا لهذا الرأي يكون مرادفا للمعراج"³.

[B.W. Robinson مادة معراج: ترجمة علي يوسف علي [روبنسون B.W. Robinson]]

مصادر الرواية:

البخاري، طبعة القاهرة 1278 هـ، ج 2، ص 185 "باب كان النبي تنام عينه ولا ينام قلبه" رقم 2؛ مسلم، طبعة بولاق، 1290 هـ، ج 1، ص 59؛

¹ صحيح مسلم، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412هـ - 1991م، ح263، 1/ 145-146.

² موجز دائرة المعارف الإسلامية، 3/ 713.

³ المصدر نفسه، 30/ 9408.

الطبري: التفسير، الطبعة الأولى ج 15، س 3؛

¹ der Islam ج 6، ص 14، 14.²

رواية البخاري: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَخِي، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ شَرِيكَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمْرٍ، سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يُحَدِّثُنَا عَنْ " لَيْلَةِ أُسْرِيَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ: جَاءَهُ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ، قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ، وَهُوَ نَائِمٌ فِي مَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَقَالَ أَوْلَهُمْ: أَيُّهُمْ هُوَ؟ فَقَالَ أَوْسَطُهُمْ: هُوَ خَيْرُهُمْ، وَقَالَ آخِرُهُمْ: خُذُوا خَيْرَهُمْ. فَكَانَتْ تِلْكَ، فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى جَاءُوا لَيْلَةً أُخْرَى فِيمَا يَرَى قَلْبُهُ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَائِمَةٌ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ، فَتَوَلَّاهُ جَبْرِيلُ ثُمَّ عَرَّجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ ".³

رواية مسلم: " عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ، يُحَدِّثُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جَبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَفَرَّجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءٍ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِيٍّ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَعَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَّجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ ".⁴

رواية الطبري عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة، وهو رجل من قومه قال: قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ، فَأَتَيْتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءٍ زَمْزَمَ، فَشَرَحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا، قَالَ قَتَادَةَ: قُلْتُ: مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِهِ؛ قَالَ: فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي فَعُغِّلَ بِمَاءٍ زَمْزَمَ ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ، ثُمَّ حُشِيَ إِيْمَانًا وَحِكْمَةً، ثُمَّ أَتَيْتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضُ يُقَالُ لَهُ: الْبُرَاقُ، فَوَقَّ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَعْلِ يَقَعُ خَطْوُهُ مُنْتَهَى طَرَفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا.... فذكر الحديث⁵. وفي نسخة أخرى للتفسير: «فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ فَصَلَّيْتُ فِيهِ بِالنَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ إِمَامًا، ثُمَّ عَرَّجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا».⁶

تحليل الرواية الأولى

وهذه الرواية حسب المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية تقول بصعود النبي صلى الله عليه إلى السماء، وهي تمثل أقدم الروايات، ويبدو أنها اختلفت من التفاسير الحديثة، وقد ذكرها الطبري في تفسيره والبخاري ومسلم في صحيحيهما، وكذلك المستشرقون في مجلة "الإسلام" «Der Islam». وهذه التفاسير والروايات القديمة فسرت المسجد الأقصى بالسماء. وهي حسب المستشرق "Bevan" احتوت المعنى الأول (البدائي) لقصة صعود النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء وبداية التشريعات، وما يميز هذا الرواية كذلك أن كلمة "إسراء" وكلمة "معراج" لهما نفس المعنى أو بالأصح تستخدمان للدلالة على المعنى ذاته.

¹ وهي مجلة للمستشرقين، تنشر منذ 1910م، تهتم بثقافة وتاريخ العالم الشرقي، وتنشر أبحاثها باللغتين الإنجليزية والألمانية، ينظر:

<https://www.degruyter.com/journal/key/islam/html?lang=en>

² موجز دائرة المعارف الإسلامية، 3/ 713.

³ صحيح البخاري، ت/ محمد زهير بن ناصر الناصر، ادار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، باب: كان النبي صلى الله عليه وسلم تنام عينه ولا ينام قلبه، ح3570، 4/ 191.

⁴ صحيح مسلم، باب: الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، وفرض الصلوات، ح263، 1/ 148.

⁵ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط1، 1422 هـ - 2001م، 14/ 415.

⁶ ينظر: هامش المصدر نفسه، 14/ 415.

فهل دلت فعلا الروايات القديمة على ذلك؟ وهل صرّحت أنّ المراد بالمسجد الأقصى السماء؟ وهل كلمتا إسرائ ومعراج تدلان على نفس المعنى؟

يرد على هذه التساؤلات كالاتي:

الاستدلال برواية البخاري في صحيحه:

أمّا البخاري فلم تكن روايته السابقة هي الرواية الوحيدة في حادثة الإسرائ والمعراج، فقد أخرج في صحيحه عن أبي هريرة قال: «أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ بِإِيلِيَاءَ بِقَدَحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ، وَلَبَنٍ فَظَنَرَ إِلَيْهِمَا فَأَخَذَ اللَّبَنَ، قَالَ جَبْرِيلُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَذَاكَ لِلْفِطْرَةِ، لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ¹. تَابَعَهُ مَعْمَرٌ، وَابْنُ الْهَادِ، وَعُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، وَالزُّبَيْدِيُّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ². وإيلياء مدينة بيت المقدس³ ورد في كتاب "آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان": "ذكر بيت المقدس إيلياء وهي من المدائن العظيمة القديمة، وبها قبور الأنبياء، صلوات الله عليهم، وآثارهم"⁴.

وفي حديث آخر للبخاري: قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَمَّا كَذَّبْتَنِي قُرَيْشٌ قُتِمْتُ فِي الْحِجْرِ فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ» زَادَ يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ عَمِّهِ، «لَمَّا كَذَّبْتَنِي قُرَيْشٌ حِينَ أُسْرِي بِي إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ» نَحْوَهُ⁵.

يروى البخاري في الحديثين السابقين خبر إسرائ النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس، وقد ذكر في الرواية الأولى - المستشهد بها في دائرة المعارف الإسلامية - معراج النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء وهو في صدد الحديث عن الإسرائ لأنه ترجم للباب بـ "حديث الإسرائ وقول الله تعالى: سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً"، إشارة إلى وقوع المعراج إلى السماء بعد الإسرائ، فقد وردت بداية الحديث كالاتي: "لَيْلَةَ أُسْرِيَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ"، حتى قال: فَتَوَلَّاهُ جَبْرِيلُ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ"، وإن لم يُصرح في هذا الحديث بجهة الإسرائ فقد ذكر في الحديثين السابقين أنه أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس، يقول ابن حجر: "ويؤيد وقوع المعراج عقب الإسرائ في ليلة واحدة رواية ثابت عن أنس عند مسلم ففي أوله أتيت بالبراق فركبت حتى أتيت بيت المقدس فذكر القصة إلى أن قال ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا وفي حديث أبي سعيد الخدري عند بن إسحاق فلما فرغت مما كان في بيت المقدس أتى بالمعراج فذكر الحديث ووقع في أول حديث مالك بن صعصعة أن النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به فذكر الحديث فهو وإن لم يذكر فيه الإسرائ إلى بيت المقدس فقد أشار إليه وصرح به في روايته فهو المعتمد"⁶.

الاستدلال برواية مسلم في صحيحه:

¹ صحيح البخاري، باب: قَوْلُهُ: ﴿أُسْرِيَ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الإسرائ: 1]، ح4709، 6/83.

² صحيح البخاري، باب: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 90]، ح5576، 7/104.

³ تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر، ت/ محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، 15/332.

⁴ إسحاق بن الحسين المنجم، ت/ فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408 هـ - 1988م، 1/31.

⁵ صحيح البخاري، باب: قَوْلُهُ: ﴿أُسْرِيَ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الإسرائ: 1]، ح4709، 6/83.

⁶ فتح الباري شرح صحيح البخاري، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، 7/198.

يروى في الإسراء والمعراج إلى السماء مسلم عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه»، قال: «فركبته حتى أتيت بيت المقدس»، قال: «فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء»، قال: «ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل صلى الله عليه وسلم: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء»¹. فذكر الإسراء إلى بيت المقدس ويقال له أيضا إيلياء ثم ذكر صعوده صلى الله عليه وسلم إلى السماء². الاستدلال برواية الطبري:

الطبري في تفسيره لآية الإسراء يذكر أن المسجد الأقصى هو بيت المقدس؛ إذ يقول: "وقوله (إلى المسجد الأقصى) يعني: مسجد بيت المقدس، وقيل له: الأقصى، لأنه أبعد المساجد التي تزار، ويُنْتَعَى في زيارته الفضل بعد المسجد الحرام. فتأويل الكلام تنزيها لله، وتبرئة له مما نَحْلُهُ المشركون من الإشراك والأنداد والصاحبة، وما يَجَلُّ عنه جَلَّ جلاله، الذي سار بعبد له ليلا من بيته الحرام إلى بيته الأقصى"³.

فهل انفرد الطبري من المفسرين المتقدمين بهذا القول؟ طبعاً لا؛ قال مقاتل بن سليمان: "أسرى بعبد في رجب يعني النبي - صلى الله عليه وسلم - ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى يعني بيت المقدس"⁴. وقال يحيى بن سلام (ت 200هـ): "أسرى بعبد محمد صلى الله عليه وسلم ﴿لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: 1]، يعني: بيت المقدس"⁵.

لذا يبدو بعد النظر في المصادر المشار إليها في دائرة المعارف الإسلامية والتي استخرجت منها الرواية الأولى؛ نستنتج أموراً أهمها:

- لم يصرح الطبري أو البخاري أو مسلم في رواية من رواياتهم أن المسجد الأقصى هو مكان في السماء أو أن معناه السماء.
- انتقاء المستشرقين للروايات التي تخدم أفكارهم من مصادر المسلمين المعتمدة كالصحيحين وتفسير الطبري، والأصل النظر في جميع روايات الباب والجمع بينها لكون بعض المسائل لم تذكر في رواية وذكر في رواية أخرى.

مسألة: هل كلمتا إسراء ومعراج تدلان على نفس المعنى؟

ويُرد كالأتي: قد يُطلق لفظ الإسراء ويُراد به:

- الإسراء خاصة: كما فعل البخاري إذ قال: باب: قَوْلُهُ: ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الإسراء: 1]: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَمَّا كَذَّبْتَنِي قُرَيْشٌ قُتِمْتُ فِي الْحَجَرِ فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ»⁶.
- يراد به المعراج: كما فعله المترجمون لأبواب صحيح مسلم فذكروا: "باب: الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، وفرض الصلوات"

¹ صحيح مسلم، باب: الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، وفرض الصلوات، ح 259، 1/ 145.

² يُنْظَر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 2، 1392هـ، 2/ 210-212.

³ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 14/ 416.

⁴ تفسير مقاتل بن سليمان، ت/ عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط 1، 1423 هـ، 2/ 513.

⁵ تفسير يحيى بن سلام، ت/ هند شلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1425 هـ - 2004 م، 1/ 101.

⁶ الحديث سبق تخرجه.

- يراد به الإسراء والمعراج معا: وذلك لوقوعهما في نفس الليلة، يقول ابن حجر: " قال بن دحية جنح البخاري إلى أن ليلة الإسراء كانت غير ليلة المعراج لأنه أفرد لكل منهما ترجمة قلت ولا دلالة في ذلك على التباين عنده بل كلامه في أول الصلاة ظاهر في اتحادهما وذلك أنه ترجم باب كيف فرضت الصلاة ليلة الإسراء والصلاة إنما فرضت في المعراج فدل على اتحادهما عنده وإنما أفرد كلا منهما بترجمة لأن كلا منهما يشتمل على قصة مفردة وإن كانا وقعا معا".¹

إذن تستعمل كلمة إسراء للدلالة على رحلة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى أو للدلالة على حادثة الإسراء والمعراج معا لتعاقب وقوعهما في ليلة واحدة.

مسألة: هل الإسراء والمعراج كان بداية للتشريعات؟

ما ورد في كتب الحديث والفقه أنه في رحلة الإسراء والمعراج فرضت الصلوات الخمس²، أجمع العلماء على أن فرض الصلاة كان في الإسراء³: "وفرضت الصلوات الخمس في الإسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم وذلك بمكة قبل الهجرة بسنة، وكان الفرض قبل ذلك ركعتين بالغداة وركعتين بالعشاء"⁴.

مسألة: المسجد الأقصى معناه "أقصى مكان للعبادة"

ورد في دائرة المعارف الإسلامية: "ويُفسر المسجد الأقصى بأنه "أقصى مكان للعبادة" أي السماء".⁵ ويبدو أن هذا المفهوم ورد نتيجة للترجمة الحرفية ومنقول عن المستشرق "A. Bevan" الذي يقول: "لكنّ عبارة "مكان العبادة الأبعد" (المسجد الأقصى) لم ترد في أي مكان، ورأي المفسرين المحمديين أنها تشير إلى القدس، على الأكثر تخمين عقلي"⁶.

بيد أن كلمة مسجد لها معناها الشرعي ويقابلها الكلمة الإنجليزية «Mosque»، و المسجد الأقصى هو بيت المقدس المعروف عند جميع المسلمين بالضرورة أنه أول القبلتين وثالث الحرمين.

المطلب الثاني: الرواية الثانية (في التفاسير المتأخرة)

"والمأخوذ به في كل كتب التفسير الأحداث يُفسر المسجد الأقصى بأنه بيت المقدس، دون دليل. ويُقال إنّ ذلك كان بتأثير الأمويين لإعطاء قداسة لبيت المقدس أثناء الحرب مع عبد الله بن الزبير... ويبدو أن الطبري يرفض ذلك في تاريخه. بعبارة تفصح عن رأي نهائي للمؤرخ، تشكلت على اعتبار الدليل المائل أمامه".⁷

"ويبدو أن الطبري قد رفض الأخذ بهذا التفسير، وهو لا يذكره في تاريخه بل يظهر إنه كان أميل إلى تأييد التفسير الأول".⁸

¹ فتح الباري شرح صحيح البخاري، 7/ 196.

² ينظر: المقدمات الممهدة، محمد بن أحمد بن رشد، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1408 هـ - 1988 م، 1/ 145.

³ شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ت/ ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، ط2، 1423 هـ - 2003 م، 2/ 6.

⁴ النوادر والزيادات على ما في المدوّنة من غيرها من الأمهات، أبو زيد القيرواني، ت/ عبد الفتاح محمد الحلو، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1999 م، 145/ 1.

⁵ المصدر نفسه، 30/ 9408.

⁶ STUDIEN ZUR SEMITISCHEN PHILOLOGIE UND RELIGIONSGESCHICHTE, Gruppe von Autoren, (VORMALIS J. RICKER), GIESSEN, 1914, 53- 54.

⁷ موجز دائرة المعارف الإسلامية، 30/ 9409.

⁸ المصدر نفسه، 3/ 713.

تحليل الرواية الثانية:

أهم النقاط المشار إليها في هذه الرواية:

- 1- الرواية تشير إلى أنّ المسجد الأقصى هو بيت المقدس.
- 2- الرواية موجودة في كتب التفسير الأحدث ودون دليل يؤيدها.
- 3- الإشارة إلى أنّ هذه الرواية ظهرت أو انتشرت في عهد الأمويين لأنها تخدم مصالحهم السياسية.
- 4- رفض الطبري لهذا الرواية حيث لم يذكرها في كتابه التاريخ.

مناقشة:

يظهر من خلال مناقشة الرواية الأولى-مما لا مجال في الشك حوله- أنّ المقصود من المسجد الأقصى في رحلة الاسراء هو بيت المقدس، وقد ورد ذكر بيت المقدس في تفسير الطبري وغيره من التفاسير القديمة¹ مما يزيح نظرية التي يدّعيها المستشرقون سابقا بأنه لم تظهر رواية بيت المقدس إلا في التفاسير الحديثة.

أمّا عن الطبري إذ لم يذكر الإسراء والمعراج في كتابه تاريخ الرسل والملوك، فهذا لا يدل على أنّه يرفض الرواية التي تقول أنّ المسجد الأقصى هو بيت المقدس، بل صرح في تفسيره بأنه الصواب من القول²، وكذلك من خلال الروايات التي ذكرها ونقلها في تفسيره تفسيره مما لا يُشكك في أنّ الإسراء لم يكن إلا لبيت المقدس³.

قال ابن إسحاق: "أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس، وقد فشا الإسلام بمكة في القبائل"⁴.

مسألة: هل الأمويون هم من أضفوا القداسة على بيت المقدس أم الرسول صلى الله عليه وسلم؟

رؤي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى»⁵. وفي مصنف أبي شيبة ومسنند الإمام أحمد: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول، وبيت المقدس»⁶. وفي لفظ لمسلم: «إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدي، ومسجد إيلياء»⁷.⁸

¹ يُنظر: المطلب الأول من البحث الثاني من هذا المقال.

² جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 14/ 416.

³ المصدر نفسه، 14/ 415-422.

⁴ كتاب السير والمغازي، محمد بن إسحاق، ت/ سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط1، 1398هـ-1978م، 295.

⁵ صحيح البخاري، باب: باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ح1189، 2/ 60. صحيح مسلم، باب: باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، ح1397، 2/ 1014. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، ت/ شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ - 2001 م، ح 7191، 12/ 116. مسند الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، ت/ حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1412 هـ - 2000 م، ح 1416، 2/ 891. سنن ابن ماجه، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس، ح 1409، 1/ 452.

⁶ الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، ت/ كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409هـ، ح 15545، 3/ 418. مسند الإمام أحمد بن حنبل، ح 11417، 18/ 14.

⁷ مسجد إيلياء هو بيت المقدس [شرح محمد فؤاد عبد الباقي]. صحيح مسلم، 2/ 1015.

⁸ صحيح مسلم، باب: باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، ح1397، 2/ 1015.

وقال صلى الله عليه وسلم: «صلاة في مسجدي هذا بألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام فإن الصلاة فيه بمائة ألف صلاة في غيره وصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة»¹.

وعن ميمونة، مولاة النبي صلى الله عليه وسلم قالت: قلت: يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس قال: «أرض المحشر والمنشر اتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره» قلت: أرايت إن لم أستطع أن أتحمّل إليه؟ قال: «فتهدى له زيتا يسرج فيه، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه»².

فيظهر من الأحاديث السابقة أنّ الشارع هو من أضفى القداسة لبيت المقدس عن طريق نبيه صلى الله عليه وسلم، أي قبل الأمويين، ولا حجة لمن زعم أنّ السياسة هي التي تُعطي القداسة أو تنزعها لبيت من بيوت الله.

مسألة: الجمع بين الروايتين الأولى والثانية

"ويأخذ الإجماع بكلا التفسيرين، فيفسر الإسراء بأنه الرحلة من مكة إلى المسجد الأقصى والمعراج بأنه الصعود للسماء، واعتبر أنه حدث في تاريخ آخر لاحق على الإسراء. وتجرى قصة الإسراء على الوجه التالي: ذات ليلة والرسول نائم بجوار الكعبة، (أو في بيت أم هانئ) جاءه جبريل فأيقظه وقاده إلى حيوان مجنح يسمى "البراق"، امتطاه وانطلقا به إلى بيت المقدس، حيث مرا في الطريق بمشاهد لبعض القوى الشريرة والطيبة، وزارا الخليل وبيت لحم، وفي بيت المقدس قابل إبراهيم وعيسى وموسى (عليهم السلام) فصلى بهم إماماً"^{3 4}.

"وتتفق الروايتان الأولى والثانية في تفسير كلمة "عبد" الواردة في الآية الأولى من سورة الإسراء بمحمد صلى الله عليه وسلم، ويظهر أن هذا صواب (Der Islam، ج 6، ص 13، تعليق رقم 6)⁵.

وأقر "الإجماع" هذين التفسيرين، ولما ظهر تفسير الأمويين وفق الإجماع بينه وبينهما بأن أعطى لكلمة "إسراء" مدلولاً خاصاً هو "الرحلة الليلية إلى بيت المقدس"⁶.

نتج عن الجمع بين الروايتين الثانية والثالثة:

- الإسراء هو الرحلة من مكة إلى المسجد الأقصى (بيت المقدس)، والمعراج هو الصعود للسماء: وهذا ما ورد في صحيح الأخبار وعليه الإجماع.

- تدل كلمة "عبد" في الآية الأولى من سورة الإسراء على النبي صلى الله عليه وسلم.

- الإسراء والمعراج وقعا في تاريخين مختلفين.

فيسلم بالجزئين الأولين وقد سبق الحديث عن إسراء النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ثم صعوده إلى السماء، وأنّه يُقصد بكلمة "عبد" في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: 1]: "وذكر الله نبيه صلى الله عليه وسلم باسم العبد في

¹ فضائل مكة والسكن فيها، الحسن بن يسار البصري، ت/ سامي مكي العاني، مكتبة الفلاح، الكويت، 22.

² سنن ابن ماجه، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس، ح 1408، 1/ 452.

³ موجز دائرة المعارف الإسلامية، 30/ 9408.

⁴ ينظر: المصدر نفسه، 3/ 714.

⁵ موجز دائرة المعارف الإسلامية، 3/ 714.

⁶ ينظر: المصدر نفسه، 3/ 714.

أشرف المقامات، فقال في ذكر الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: 1] وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: 19]، وقال تعالى: ﴿أَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: 10]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: 23]، وبذلك استحق التقديم على الناس في الدنيا والآخرة.¹

وأما وقوع الإسراء والمعراج في تاريخين مختلفين فهو قول غير راجح لما تواترت الأخبار والروايات عن وقوعهما في ليلة واحدة، يقول ابن حجر: "الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي صلى الله عليه وسلم وروحه بعد المبعث وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل".²

المطلب الثالث: الرواية الثالثة

"أما التفسير الثالث للآية الأولى من سورة الإسراء فيعتمد على الآية الثانية والستين من السورة نفسها إذ وردت فيها كلمة الرؤيا بمعنى الإسراء وهذا يتضمن أن الرحلة الليلية لم تكن رحلة حقيقية؛ وإنما كانت رؤيا. ولما وقف محمد صلى الله عليه وسلم بالحجر، رأى بيت المقدس. ووصف لقريش ما رآه فلم يصدقوه (البخاري، ج 2، ص 221؛ ج 3، ص 102؛ مسلم، ج 1، ص 62؛ تفسير الطبري، ج 15، ص 5، س 14)."³

مناقشة:

مصادر هذه الرواية:

1. الآية الثانية والستين من سورة الإسراء: وهي إشارة إلى الآية 60 في مصحف المدينة: "وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّثُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا" [الإسراء: 60]

2. البخاري، ج 2، ص 221؛ ج 3، ص 102؛

3. مسلم، ج 1، ص 62؛

4. تفسير الطبري.

من المصادر السابقة يتبين أن القول عن الرحلة الليلية أنها كانت رؤية رآها النبي صلى الله عليه وسلم في منامه لم ينفرد به المستشرقون بل أخذوه من المصادر الإسلامية، فهل سلّمت هذه المصادر بهذا القول أم أنها نقلت وحررت الصحيح منه؟ ويرد كالاتي:

ورد في دائرة المعارف الإسلامية: "وقد اختلف علماء المسلمين فيما إذا كان الإسراء حدث في نوم محمد صلى الله عليه وسلم أم في يقظته، وفيما إذا كان أسرى بروحه أم بجسده، ويذهب أهل السنة إلى أن الإسراء كان بالجسد إبان يقظته. ويؤيد الطبري في تفسيره (ج 15، ص 13) هذا الرأي تأييداً قاطعاً معتمداً على البراهين الآتية:

¹ شرح العقيدة الطحاوية، محمد ابن أبي العز الحنفي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1418 هـ، 108.

² فتح الباري شرح صحيح البخاري، 7/ 197.

³ موجز دائرة المعارف الإسلامية، 3/ 715.

1- إن لم يكن النبي قد أسرى بجسده، فإن الإسراء لا يعطينا دليلاً على نبوته، ولم يكفر الطبري من لم يسلم بهذه القصة.

2- جاء في القرآن أن الله أسرى يعبدته ولم يقل إنه أسرى بروح عبده.

3- إذا كان النبي أسرى بروحه فقط لم تكن هناك حاجة إلى البراق لأن الحيوان يحمل الأجسام لا الأرواح.^{1 2}

يقول أبو عمرو الداني: "ولو كانت رؤيا نوم على ما يذهب إليه طوائف أهل البدع من المعتزلة وغيرهم، لم تكن فتنة للناس حتى ارتاب قوم، وارتد قوم عن الإسلام، ولا كان أيضاً فيها دلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم، ولا حجة على رسالته، ولا كان الذين أنكروا ذلك من أهل الشرك يدفعونه عن صدقه في ذلك، إذ غير منكر عندهم، وعند كل أحد أنه قد يرى الرائي في المنام ما على مسيرة سنة فضلاً عما هو مسيرة شهر ودونه"³، ثم يُضيف: "هذا مع دليل ظاهر النص المذكور الذي لا طريق للمجاز فيه على أنه صلى الله عليه وسلم أسرى بجسده لا بروحه دونه، وهو قوله سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: 1]، وتظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الله تعالى أسرى به على دابة يقال لها: البراق، والدواب لا تحمل الأرواح، وإنما تحمل الأجسام".⁴

فتبين مما سبق بالأدلة العقلية والعقلية أنّ الإسراء والمعراج وقع حقيقة بجسد النبي صلى الله عليه وسلم.

مسألة: الجمع بين الروايتين الثانية والثالثة

ورد في دائرة المعارف الإسلامية:

"ووضعت القصة على نحو يوفق بين التفسيرين الثاني والثالث، وذلك كما يأتي:

سافر محمد صلى الله عليه وسلم ليلاً إلى بيت المقدس، ثم عاد ووصف في مكة ما رآه فلم تصدقه قريش، بل وأنكر ذلك منه بعض المسلمين. وحاول محمد التدليل على صدق روايته ولكنه نسي التفاصيل، فأراه الله بالفعل بيت المقدس (Der Islam ج 6، ص 15 وما بعدها).⁵

وهذا الجزء صحيح من قصة الإسراء والمعراج وهو ما دل عليه الحديث:

أبو سلمة بن عبد الرحمن، سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لما كذبتني قريش، قمت في الحجر، فجلا الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه».⁶

خاتمة:

من خلال البحث في الروايات التفسيرية للإسراء والمعراج في دائرة المعارف الإسلامية، يمكن الخلوص لنتائج؛ أهمها:

- ورد في دائرة المعارف الإسلامية ثلاث روايات تفسيرية للإسراء والمعراج.

¹ دائرة المعارف الإسلامية، 3/ 716.

² يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 14/ 446.

³ الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، ت/ دغش بن شبيب العجمي، دار الإمام أحمد، الكويت، ط1، 1421 هـ - 2000 م، 1/ 193.

⁴ المصدر نفسه، 1/ 193.

⁵ موجز دائرة المعارف الإسلامية، 3/ 714.

⁶ سبق تخريجه.

- لا يُسَلَّم بصحة تفسير المستشرقين للروايات الواردة في الإسراء والمعراج والتي حوتها دائرة المعارف الإسلامية من خلال مادتي "إسراء" و "معراج".
- استُخرجت الروايات الثلاث التفسيرية للإسراء والمعراج من مصادر هي أمهات الكتب في التفسير والحديث كتفسير الطبري والصحيحين، ورغم صحة المصادر دخل الخلل إلى الروايات من خلال تفسيرها أي فهمها بما يتوافق مع أفكار استشراقية، وغياب النظرة الشمولية أو هي ربما نظرة انتقائية للروايات عن طريق اختيار حديث دون آخر مع أنّ كلا الحديثين صحيح.
- إسراء النبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى (بيت المقدس) ثبت وورد في المصادر الإسلامية، وهو أمر ثابت وواضح لا يمكن تضليله عن طريق الترجمة الحرفية لـ "المسجد الأقصى" بـ "مكان بعيد للعبادة" أو التعلل بأن السياسة هي من أضفت عليه الشرعية.
- ادعاء المستشرقين أن بعض العوامل لها تأثير على المصطلحات الشرعية كعامل السياسة في محاولة لنزع القداسة عن الدين الإسلامي وربانية أحكامه المنزلة من الشارع عن طريق الوحيين القرآن والسنة.
- ومن أهم التوصيات التي ذكرها بمناسبة هذا البحث:
- يُوصى بالبحث في الروايات التفسيرية وتمحيص صحيحها من باطلها في التراث الإسلامي وغيره مما اعتمده المستشرقون والطاعنون في كتاب الله وشرعه.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص.
- إبراهيم عوض، دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية أضاليل وأباطيل، مكتبة البلد الأمين، مصر، ط1، 1419هـ - 1998م.
- أبو نصر الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت/أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ - 1987م.
- أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ
- أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت/ شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ - 2001 م.
- إسحاق بن الحسين المنجم، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، ت/ فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408 هـ - 1988م.
- أمين أبولاي، معلم الثقافة الإسلامية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط1، 1998م.
- الحسن بن يسار البصري، فضائل مكة والسكن فيها، ت/ سامي مكّي العاني، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1.
- الخليل الفراهيدي، كتاب العين، ت/ مهدي المخزومي - إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بغداد، 1985م.
- الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، ت/ دغش بن شبيب العجمي، دار الإمام أحمد، الكويت، ط1، 1421 هـ - 2000 م.
- ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002م.
- عبد الله بن أبي زيد القيرواني، التّوادر والتّزيادات على ما في المدوّنة من غيرها من الأمهات، ت/ عبد الفتّاح محمد الحلّو، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1999م.

- عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، مسند الدارمي، ت/ حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1412 هـ - 2000 م.
- عبد الله بن محمد أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ت/ كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط1.
- علي بن حزم الأندلسي، جوامع السيرة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ - 2003م.
- علي بن خلف بن بطلال، شرح صحيح البخاري، ت/ ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، ط2، 1423هـ - 2003م.
- كتاب السير والمغازي، محمد بن إسحاق، ت/ سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط1، 1398هـ - 1978م.
- مجموعة من المستشرقين، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1418هـ - 1998م.
- محمد ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1.
- محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تهذيب اللغة، ت/ محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
- محمد بن أحمد بن الأزهر، تهذيب اللغة، ت/ محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
- محمد بن أحمد بن رشد، المقدمات الممهدة، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1408 هـ - 1988 م.
- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ت/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط1، 1422 هـ - 2001م.
- محمد بن عمر بن مبارك الحميري، حقائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، ت/ محمد غسان نصوح عزقول، دار المنهاج، جدة، ط1، 1419 هـ.
- محمد بن يزيد بن ماجة، سنن ابن ماجة، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، دط، دت.
- محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، دط، دت.
- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412هـ - 1991م.
- مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ت/ عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1423 هـ.
- يحيى بن سلام، تفسير يحيى بن سلام، ت/ هند شلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 425 هـ - 2004م.
- يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ.
- يحيى مراد، أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.
- STUDIEN ZUR SEMITISCHEN PHILOLOGIE UND RELIGIONSGESCHICHTE, Gruppe von Autoren, (VORMALS J. RICKER), GIESSEN , 1914.
- <https://www.degruyter.com/journal/key/islam/html?lang=en>